



## من لحمل الرسالة القرآنية والدعوة الفطرية بعدك يا فريد؟!



د. محمد الأنصاري

إن الموت أمر طبيعي في المخلوقات كلها، فهو سنة الله وحكمه وقدره، وهو ابتلاء سماه الحق عز وجل مصيبة بيتلي بها سبحانه عباده «فأصابكم مصيبة الموت» (المائدة : 106)، فالموت حق على كل نفس «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور» (آل عمران : 185)، والمؤمن الحق يؤمن بهذا الحق ويرضى به، ويستقبل ابتلاء الله له به بالرضى والخضوع لحكم المولى ولقضائه وقدره وسنته في الحياة الدنيا سبحانه، فنحن عباده وهو خالقنا ومولانا يتصرف فينا وبنا كيف يشاء .

هذا هو منهج الله وحكمه في عباده ومخلوقاته «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» (الرحمان : 26، 27)، وهذه شريعته في التعامل مع ابتلاء مصيبة الموت، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

### عظم مصيبة الموت بعظم

#### منزلة الميت عند الله :

إن مصيبة الموت أمر عظيم على الناس ثقيل على الأنفس، ويزداد الأمر عظما بعظم منزلة الميت عند الله تعالى وعند عباده ومخلوقاته، فالأرض والملائكة والناس تبكي لموت هؤلاء، والحجر والشجر يبكي لموتهم تماما كبكاء الجذع على الرسول ﷺ . لذلك كان موت العلماء أعظم مصيبة تتبلى بها الأمة، فموت العالم الرباني الوارث لعلم النبوة ورسالة النبوة ومنهج النبوة في التفكير والتعبير والتدبير، وفي تزكية الأنفس وإصلاح القلوب وصناعة العقول وبناء الإنسان بميزان القرآن، موت هؤلاء العلماء الوارثين العاملين بمقتضى الإرث النبوي مصيبة حقا وابتلاء حقيقي يحمص الله به الصف المؤمن قال تعالى : «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» (الملك : 2)، فالله تعالى خلق الموت والحياة ليعامل الناس معاملة من يختبرهم أيهم أحسن عملا، فيجازيهم على ذلك، والمعنى ليلوكم أيكم أكثر للموت ذكرا وأشد منه خوفا وأبكم أسرع إلى طاعة الله وأورع عن محارم الله (1).

#### ما الواجب بعد موت العلماء؟ :

ومن هذا المنطلق فإن هذا الابتلاء يقضى القيام بواجب الاستخلاف في أداء رسالة العلماء في الأمة بعد موت من يموت منهم، فالعلماء هم قادة الأمة وروادها وولاة أمرها وهم أمناء الله على خلقه، والقيام بوظيفتهم ورسالتهم قيام بوظيفة الأنبياء وأداء لرسالتهم، وأحسب أن أخانا الدكتور فريد الأنصاري تغمده الله في رحمته وأسكنه فسيح جنته وحشرنا الله وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا من هؤلاء العلماء الربانيين ورثة الأنبياء.

#### مناقبة الدكتور فريد :

أحسب أنه رحمه الله تعالى من هذا الصنف من العلماء الربانيين الوارثين للأنبياء، القائمين بوظيفتهم في البعث والإحياء لمنهج الفطرة ودين الفطرة ودعوة الفطرة ونظام الفطرة، في الأنفس والحياة والدولة والمجتمع . أقول هذا الكلام ولا أزكي على الله أحدا، فقد كان الفقيه رحمه الله تعالى عالما متحققا ومتخلقا بمقتضى العلم الذي يورث معرفة الله تعالى حق المعرفة، ومحبة حق المحبة، وخشيته حق الخشية، ويورث حب رسوله ودينه والدعوة إليه، إذا سئلت عن علمه فقل كان عالما موسوعيا، فقد كان رحمه الله برحمته أصوليا راسخا، وفقهيا مدققا، ومحدثا محققا، ومفسرا مبينا، فكان ملما بالعلم بالوحي ويعلم الوحي، وكان إلى جانب ذلك عالما مفكرا منظرا مؤصلا، عالما بالواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي للدولة والمجتمع، عالما بتاريخ الأمة وحاضرها، مستشرفا لمستقبلها الحضاري والعمرائي بالمفهوم القرآني، فزرقه الله تعالى بهذا العلم والعمل بمقتضى القدرة على البيان وفصل الخطاب، والقدرة على

في استمطار رحمات الله واستنزال السكينة على الجالسين المتدارسين وحفوف الملائكة مجلسهم وذكر الله لهم في الملأ الأعلى عنده سبحانه وتعالى . وحقيقة هذه الفضائل والبركات لا يدركها إلا من تذوق حلاوة مجالس الذكر ومدارسة القرآن، وتحقق وتخلق بهداياتها وبصائرها وأنوارها.

من هاهنا فإن بعث هذا المنهج من جديد في الأمة اليوم هو في حقيقة الأمر تجديد للدين ولفهم الدين وتجديد للتدين من منطلق الفهم السوي السديد للوحي عملا بقوله ﷺ : «...ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده...» (2).

#### معالم من تجديده الدعوي :

ثم إنه رحمه الله تعالى من رواد الدعوة إلى الله تعالى في هذا العصر بالمنهج الدعوي الفطري، وهو المنهج الذي رسم معالمه الوحي القرآن قال تعالى : «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي

إذا سئلت عن علمه فقل كان عالما موسوعيا . فقد كان رحمه الله برحمته أصوليا

راسخا، وفقهيا مدققا، ومحدثا محققا، ومفسرا مبينا . فكان ملما بالعلم بالوحي ويعلم الوحي، وكان إلى

جانب ذلك عالما مفكرا منظرا مؤصلا . عالما بالواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي للدولة والمجتمع . عالما بتاريخ الأمة

وحاضرها . مستشرفا لمستقبلها الحضاري والعمرائي بالمفهوم القرآني . فزرقه الله تعالى بهذا العلم والعمل بمقتضى القدرة

على البيان وفصل الخطاب . والقدرة على الجدل العلمي البناء المقنع للمخالفين . والقدرة أيضا على مخاطبة الأنفس ومعالجة

أهوائها . والعقول ومعالجة زيفها . والقلوب ومداداة أمراضها . فكان عالما ربانيا يربي بصغار العلم قبل كبارهم ويزكي

أنفسهم . فكان رحمه الله بانبا للإنسان نفسا وقلبا وعقلا وجوارح . أحب الناس فأحبوه وحبب إليهم

الإيمان وزينه في قلوبهم.

فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (الروم : 30)، وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم على بيانه وتنزيله والعمل بمقتضاه في دعوته، لذا فإن إحياء هذا المنهج وبعثه في الأمة اليوم تجديد للدين فقها وتنزيلا للدعوة منهجا وإعمالا وللواقع فهما واستجابة وتفاعلا .

يقول رحمه الله تعالى في بيان هذا المشروع الدعوي الكبير الذي كان يسير على خطاه ولقي الله تعالى وهو على ذلك : (المشروع الدعوي وكما هو معروف أنا أسير على خطى أستاذنا الدكتور الشهيد البوشيخي فيما يمكن أن نسميه بالمدرسة القرآنية أو مدرسة الفطرة في الدعوة والدين، كما تعلمون الأستاذ البوشيخي من الأوائل الذين سبقوا إلى هذا المجال، وأرشدوا طلبة العلم ورجال الدعوة إلى الاشتغال بكتاب الله عز وجل، هذا المشروع هو نفسه . أقول هذا الكلام لأنني ما أحببت أن ينسب إلي مشروع خاص فهو مشروع الأمة ومشروع الدين، مشروع عام، كل يحمل منه ما يسر الله له من العلم ومن المسؤولية، وأنا على الطريق إن شاء الله تعالى، والذي على الطريق فليحمد الله، لأن النعمة الكبرى هي أن يجد الإنسان نفسه على الطريق لا خارج الطريق، فأحسب أن السير بهذا المنهج القرآني من إشاعة تداول عام جمعي للقرآن الكريم يعتبر هدفا عظيما وتفنى دونه الأعمار، ولا يطمع أحد أن يقول بأنه

الجدل العلمي البناء المقنع للمخالفين، والقدرة أيضا على مخاطبة الأنفس ومعالجة أهوائها، والعقول ومعالجة زيغها، والقلوب ومداداة أمراضها، فكان عالما ربانيا يربي بصغار العلم قبل كبارهم ويزكي أنفسهم، فكان رحمه الله بانبا للإنسان نفسا وقلبا وعقلا وجوارح، أحب الناس فأحبوه وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم.

من هذا المنطلق، فإن الأمة عامة، والمغرب خاصة، وجهة كناس تافالت على وجه الخصوص، بموت هذا العالم الجليل تفقد عالما ربانيا مجتهدا مجددا . وهاهنا أتوقف قليلا على جانب من جوانب التجديد والاجتهاد في حياته العلمية والدعوية خاصة.

#### جوانب التجديد والاجتهاد عند فريد :

#### ● إحياء المنهج النبوي في التعامل مع القرآن الكريم :

لقد كان رحمه الله من رواد إحياء المنهج النبوي في التعامل مع الوحي عامة والقرآن منه خاصة، ذلكم هو منهج التدارس القرآني في المجالس القرآنية التي كان يحث عليها ويؤطرها ويدعو إلى تكثيرها وتكثير روادها، فهذا المنهج هو وسيلة النبوة في التعامل مع الوحي وتدبره واستخلاص هداياته المنهجية في التفكير والتعبير والتدبير، واكتشاف أسراره والتبصر ببصائره والتنوير بأنواره والاستبصار بظلاله، وهذه المجالس القرآنية هي وسيلة النبوة أيضا

سيستطيع أن يصل إلى الهدف الذي رسمه القرآن الكريم لطلاب القرآن إلى غايته. ثم هو مشروع الأمة، فهو يحتاج إلى جيل، وربما إلى أجيال ولهذا قلت أنا على الطريق، المهم أن يكون الإنسان يخوض الأمر الدعوي في بحر القرآن، ونسال الله عز وجل السداد والتوفيق حتى نلقاه عز وجل ونحن على منهاج القرآن الكريم(3).

#### ● التركيز على رسالة الدعوة والبلاغ في الإصلاح :

إن رسالة الفقيه رحمه الله تعالى من خلال هذا الحديث واضحة جلية، إنها رسالة حمل القرآن للأجيال ورسالة الدعوة للقرآن تحققا وتخلقا، إنها رسالة البلاغ المبين للرسالة القرآنية بمنهج الفطرة في فقه الدين وفقه الدعوة وفقه الواقع وفقه التنزيل، وهي رسالة عظيمة جلية، بل إنها أعظم رسالة على الإطلاق في هذه الحياة الدنيا، فهي الرسالة التي اشتغل بها الرسول ﷺ في حياته كلها ولم يشتغل بغيرها قط، وهي الرسالة التي اشتغل بها الصحابة الكرام والخلفاء الراشدون بعده رضي الله عنهم جميعا، وهي الرسالة التي اشتغل بها العلماء والصالحون من وراث النبوة في هذه الأمة، وهي الرسالة التي يجب أن يشتغل بها حملة القرآن، ورواد مجالس القرآن وطلبة العلم عامة، والعلماء الربانيون في هذا الزمان وفي كل زمان، فالاشتغال بها وبمنهجها تحققا وتخلقا في مجال الدعوة والتربية والتزكية وفي غيرها من مجالات عمارة الأرض، هو أقرب طريق يوصل السالكين إلى الله تعالى إلى الهدف المنشود وهو تحقيق الشهود الحضاري للأمة والعمرائي البشري بالمفهوم القرآني .

#### من يحمل هذه الرسالة بعدك يا

#### فريد؟!

وحمل هذه الرسالة والسير في حملها على منهج الفطرة، يحتاج إلى جهود متضافرة وإلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فهبوا يا شباب القرآن ويا رجال ونساء القرآن للتعاون على خير القرآن وحمل رسالة القرآن، فإن النجاة في ذلك وإن ابتغى رضوان الله في ذلك، وإن عزة دينه وعودة الأمة إلى الخير والريادة والسيادة والقيادة في ذلك، وإن السبيل إلى الجنة التي يبتغيها كل مؤمن مخلص صادق في هذا الزمان وفي كل زمان هو في حمل هذه الرسالة والسير على خطاها والاستبصار ببصائرها قال تعالى «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها» (الأنعام : 104)، فمن لحمل هذه الرسالة ورفع راية القرآن بعدك يا فريد؟ لقد كنت فريدا في حملها والدعوة إلى حملها، والسير في ركابها وإحياء منهاجها في الناس لتحبي ببعثه القلوب، وتزكو النفوس، وتنصلح الأحوال، ويعم الأمن والأمان الإنسان والزمان والمكان بفضلها وهداياتها بصائرها . نسال الله تعالى أن ينقل منك ويجازيك الجزاء الأوفى، ونساله تعالى أن يهيئ رجالا بعدك لحملها والسير على منهاجها الفطري بصدق وعزم وإخلاص، وأن يجعلنا منهم أمين أمين أمين إنه سميع مجيب .

1- فتح القدير، للشوكاني : 5 / 258، 259 .

2- مسلم في الذكر والدعاء : 4867 .

3- في حوار أجرته جريدة المحجة مع فضيلته

قبل موته وهو المنشور في هذا العدد .